هذا هو أنا

ثائر صلاح

طفل صغير يعيش في أسرة متوسطة الحال، أم بسيطة تربي بأولادها وتعتني بهم، أكبر همومها أن تنشئ أبناءها على خلق وعلم، كانت تهتم جداً بالعلم الذي حرمت منه. أب كادح يعمل ليوفر كل ما يحتاجه الأبناء حتى لا يشعروا يوما بالحرمان، كريم، معطاء، ذو خلق وثقافة عالية، يعشق العلم، من أسمى أمانيه أن يكون أبناؤه على درجة عالية من العلم والوعي والثقافة، له من الأخوة الذكور ثلاثة هو رابعهم، وأربع من الأخوات، كان صغير الحجم، قصير القامة، شقياً جداً، وله ثقة بالنفس وذكاء ميزه عن غيره، كان يحمل صفات القائد منذ نعومة أظفاره، صغر حجمه لم يكن عائقاً له أو مصدر ضعف، بل كان ذلك الطفل المسيطر، يخشاه أطفال الحي من الأقران، وحتى من يكبره بعام أو اثنين، كان محبوباً جداً من أهالي الحي لطلاقة لسانه وذكائه، وكان يعتبر نفسه أكبر من عمره، وأنه قادر على مجاراة من يكبرونه سناً.

في المدرسة، دوماً متفوق ومتميز، أنهى المرحلة الأساسية في مدرسة حكومية، بعد ذلك انتقل إلى مدرسة خاصة لرفعة مستواها وقوة التدريس العالية فيها كما يقال عنها، بقي فيها إلى أنه في يوم من الأيام جاءت لحظة الصدام ... الفتى يقص شعره قصة عصرية، ويربي شعره من الخلف، كانت تلك تلاءم فترة المراهقة في ذلك الوقت. جاء مدير المدرسة، أخرجه من الطابور الصباحي، وقال له سوف أقص لك شعرك إن لم تقصه غداً. وفي اليوم التالي جاء الفتى حليق الرأس من الأطراف، وأبقى الشعر في منتصف الرأس كما هو. مرة أخرى عاد المدير وأخرجه من الطابور الصباحي، وقال له: «قصة شعرك لا تتلاءم مع قوانين المدرسة، وهي غير مقبولة، عليك أن تغيرها وإلا فلا مكان لك في المدرسة». في اليوم التالي، جاء الفتى حليق الرأس تماماً، وكالعادة يتجول المدير بين الطابور الصباحي فيرى الفتى ويخرجه من الطابور قائلاً له: «انتظرني

جانب من مشاركة المعلم ثائر صلاح في المساق التكاملي: عباءة الخبير.

أمام غرفة الإدارة». يذهب الفتى منتظراً المدير، فجاء المدير وقال له «ما هذه القصة؟» الفتى وباستهزاء وقهر: «لقد صحوت متأخراً، ومن شدة النعاس بدلاً من أن أسرح شعري بالمشط سرحته بموس الحلاقة». وانفجر الطالب: «كيف تريدني أن أقص شعري، تركت كل إيجابياتي (كل كياني) وانشغلت بقصة شعري؟ بعد أسبوع أو اثنين أو حتى شهر سيعود كما كان في السابق، لكن لو أني تخلفت في دراستي أخبرني كيف أعود؟». لم يهتم المدير الصارم بدفاع الفتى عن نفسه، وطلب منه إحضار ولي أمره ليخبره أن لا مكان لهذا الطالب في هذه المدرسة، حتى لو كان الأول فيها. وبتمرد وثقة

بالنفس رد الطالب وبوجود ولي أمره :» أنا أيضاً لا أرغب في البقاء، وإني أفضل الذهاب لمدرسة مهنية لدراسة تخصص الكهرباء».

وافق الأب على رغبة ابنه المهنية وأرسله إلى إحدى المدارس الصناعية في مدينة بيت لحم، واستكمل إجراءات القبول فيها، وانخرط في هذه المدرسة وأبدع وتفوق وأحبها كثيراً، واستمر في التفوق والنجاح من مرحلة إلى أخرى، إلى أن جاء الظرف القاهر للفتى ولكل أفراد العائلة؛ ففي فترة الامتحانات النصفية المدرسية للمرحلة الثانوية التوجيهي، يتوفى الأب، الحضن الدافئ والملاذ الآمن للفتى. نعم، كانت الخسارة لكل العائلة، ولكن كان هذا الفتى الخاسر الأكبر، لأنه كان الطفل المدلل لأبيه.

وفاة رب الأسرة جعلت ظروف العائلة صعبة للغاية من كل النواحي، ما اضطر الفتى للتوجه إلى العمل تزامناً مع دراسته، وفعلاً توجه إلى العمل في أحد الفنادق في مدينة القدس (غاسل أطباق)، وللأسف كان هذا الظرف قد أثر، بشكل سلبي، على تحصيله الدراسي، وهو يعلم أنه لا يوجد أمامه إلا ذلك الخيار، وأن يحمل على عاتقه مسؤولية أسرة، لأنه في هذه المرحلة كان تقريباً المعيل الوحيد، فالأخ الأكبر كان قد تزوج حديثاً وعمله متواضع، والآخر يكمل تعليمه الجامعي في الأردن، والثالث لا يزال صغيراً، الأخوات متزوجات إلا الصغرى لا تزال طفلة. فما كان منه إلا أن يبقى متحملاً لمسؤولياته، وبالفعل بقي على رأس عمله، يعمل ويدرس، لكن يوم نتائج الثانوية العامة كانت الصدمة كالصاعقة لمعلميه وإدارة مدرسته، لدرجة أن أحد معلميه قال له أنا لا أهنئك على هذه النتيجة لأني كنت أراهن عليك، وقد خيبت ظني (طبعا هم لا يعرفون ظروف هذا الطالب، وأنه يعمل ويدرس)، المدرسة بأكملها، إدارة ومعلمين، كانت تنتظر أن يكون طالبها الأول في الفرع الصناعي، إلا أن الفتى الكادح لم يحصل عليها، بل حصل على 88.9.

حاول الطالب بعد ذلك الانخراط في إحدى الجامعات المهنية في مدينة الخليل، وتم قبوله في تخصص «هندسة الآلات الميكانيكية والكهربائية»، إلا أن الظروف الاقتصادية وتكاليف الدراسة حالت دون أن يكمل أكثر من أسبوع في تلك الجامعة، فاستمر على رأس عمله في الفندق الذي كان يعمل فيه، فحبه وتفانيه في عمله أخذ يحمله من موقع إلى آخر وبشكل سريع، ليصبح هذا الشاب مسؤولاً عن أكثر من خمسة وعشرين عاملا في قسم المطبخ، وأصبح المساعد الأول للشف الرئيسي، وحصل هذا كله في أقل من عام واحد، وظل في عمله لمدة ثماني سنوات. في أثناء عمله التحق بجامعة القدس المفتوحة تخصص إدارة أعمال، وتجاوز أكثر من ثلثي المادة الدراسية لهذا التخصص قبل أن تعتقله سلطات الاحتلال الإسرائيلي، بسبب انخراطه في العمل السياسي، وحكمت عليه بالسجن لمدة عامين بتهمة القيادة في أحد التنظيمات السياسية على مستوى محافظة القدس.

تجربة المعتقل كانت نقطة تحول في حياة الشاب، حيث عاش حياة الانضباط، والتعاون، والخلوة، والتفكير، ما دفعه لرسم مستقبله بتأنٍّ. ففي إحدى المرات، وأثناء جلسة تثقيفية في المعتقل، قرأ كتاباً حول الخدمة الاجتماعية، فأثار انتباهه، ومن حينها قرر الشاب

جانب من مشاركة المعلم ثائر صلاح في المساق التكاملي: عباءة الخبير.

بعد خروجه من المعتقل دراسة الخدمة الاجتماعية كي يتسنى له تقديم الخدمة لأبناء شعبه وفق أساس علمي ومنهجي مخطط. وفعلاً، بعد الخروج من المعتقل، عاد الشاب إلى مقاعد الدراسة في جامعة القدس المفتوحة وحول دراسته من تخصص إدارة أعمال إلى تخصص الخدمة الاجتماعية. وفي أثناء ذلك عمل الشاب في وظائف عدة، منها طاهٍ في أحد المطاعم، ومندوب مبيعات لإحدى الشركات، ومسؤول للدعاية والتسويق. وفي هذه الفترة قرر الشاب التفكير بالارتباط بفتاة ليكون التحول الآخر في الحياة وأعبائها، وعلى الرغم من أن الزوجة لم تكن منتهية من دراستها الجامعية، إلا أن تفاهمهما وتعاونهما قلل من أعبائهما، وأنجز كل منهما دراسته على الرغم من أنهما كانا أيضا يتحملان مسؤولية العناية بطفلهما الأول، الذي رزقا به قبل إتمام السنة من زواجهما.

قرر الشاب بعد ذلك التوجه للعمل ضمن الوظيفة الحكومية، فيتقدم لامتحان وظيفة الإرشاد، فاجتازه، واجتاز المقابلة وتم تعيينه، وبدأ يعمل بجد وإخلاص وتفانٍ، وهذا ما أظهره له مديروه وزملاؤه في كلا المدرستين اللتين عمل بهما في الوقت نفسه، ولكن بعد أن أخذ يرسم خطواته ويتأقلم مع محيطه الجديد، جاء قرار النقل المفاجئ، ليعيد بناء ما صنعه في عمله من جديد، وبناء علاقات جديدة، وبخاصة أن المديرين والمعلمين الذين نقل للعمل معهم، كانوا ينظرون إلى المرشد على أنه عديم الجدوى والفائدة، إلا أن هذا الشاب سرعان ما بدأ العمل، وفرض نفسه بوظيفته، واستطاع أن يثبت نفسه ودوره الإرشادي في العملية التعليمية.

بدأ مديروه وزملاؤه يقدمون له كل الدعم في عمله، وأصبحوا مقتنعين أن العمل الإرشادي مهم جداً في العملية التعليمية للطلبة والمعلمين، حتى أنه أصبح لا يمكن الاستغناء عنه وعن دوره، لدرجة أن المديرين أخذوا يتذمرون إذا تغيب المرشد عن عمله. بسبب هذا الأمر، اكتسب المرشد ثقته العالية بنفسه وأخذ يحقق الانجاز تلو الإنجاز، وبدعم من زملائه. أما بالنسبة لعلاقته الأسرية التي يعيشها مع زملائه ومسؤوليته في قسم الإرشاد، فهي قصة يصعب وصفها، لما فيها من روح محبة وتعاون ودعم لبعضهم البعض، لأنهم جميعاً التقوا على مبدأ الإنسانية.

يطمح هذا الشاب أن يكمل تعليمه الأكاديمي ليرتقي بعلمه إلى أعلى الدرجات العلمية، وأن يرتقي بمجتمعه ومحيطه قدر المستطاع، يحلم بأن يحرر الوطن وتتوحد الأمة، يحلم بأن يحترم الكل بعضهم بعضاً ... .

أما حلمه على مستوى أسرته، فيطمح أن لا يعاني أطفاله ما عانه على الرغم من أنه يؤمن بأن معاناته كانت سبب سعادته، ولكن كلاً منا يحب أن يرى أبناءه أفضل منه، وفي الوقت نفسه، سيعمل على بث روح المحبة فيهم للآخرين وللوطن، والعلم سيجسد فيهم معنى التضحية، ومعنى رد الجميل لمن يستحق أن يرد له، سوف يعلمهم أن الأم هي أطهر وأسمى مخلوق على وجه الخليقة، فهي الأم، والزوجة، والحبيبة، والوطن، وهي كل شيء.

مدرستا ذكور عناتا الثانوية والأساسية العليا

جانب من مشاركة المعلم ثائر صلاح في المساق التكاملي: عباءة الخبير.